البطريرك ارميا العمشيتي

بقلم المخوري يوسف العمشيتي المرسل البطريركي

٣

واستمرّ البطريرك يسوس الكرسي الانطاكي بغيرته وحكمته المشهورتين خمس عشرة سنة بعد عودته من رومة ، الى ان انتقل الى رحمة الله ، في دير سيدة ايليج في ميفوق سنة ١٢٣٠ . بعد ان اقام مدة في دير سيدة يانوح ، في جبة المنيطرة ، في بلاد جبيل.

ومهما يلفت النظر الى هذا الرجل البار اقوال مؤرخي حياته الثقات ممن تسامَوا عقلاً وفضيلة وآداباً وعلماً ودقة كالبطريرك اسطفان الدويهي والمطران جبرائيل القلاعي ، وامثالهما ، ممن يركن اليهم ويرجع في الامور الى قولهم.

قال حجة المؤرخين البطريرك اسطفان الدويهي في سلسلة البطاركة :

نشأ البطريرك ارميا العمشيتي في قرية عمشيت من بلاد جبيل . وكان رجلاً بارًّا ذا غيرة جزيلة جعل مقامه في قرية يانوح . ودخل رومية بنفسه وحضر المجمع الذي انعقد في لاتران في ايام البابا زخيا الثالث. وسنة ١٢١٥ رجع الى دير سيدة يانوح وفي سنة ١٢٣٠ انتقل الى رحمة الله برائحة القداسة في دير سيدة ميفوق .

قال الطيب الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سورية ، في بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر فصل ٢ عد ٨٥٨ :

« روى البطريرك اسطفان الدويهي وابن القلاعي : ان البطريرك ارميا العمشيتي كان يوماً يقدس بحضرة البابا زخيا الثالث. ولما انتهى الى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق رأسه . فعظم البابا قداسته ، وامر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة . ثم استلى الدويهي قوله :« وبقيت هذه الصورة

الى ايامنا في كنيسة القديس بطرس القديمة . ولما اعتراها التغير بتمادي الزمان أمر بتجديدها البابا زخيا الثالث عشر في سنة ١٦٥٥ . على ما كانت اولاً . والى ذلك اشار ابن القلاعي في زجليته عن المجامع:

« في رومية قدس قدّاس وقفت الشيله فوق الراس
والبابا كان بجانب الكاس وعينه تنظر الاسرار »

وروى هذا الحادث ايضاً المطران داود بن جوسلن الحدشيتي ، اسقف زاوية رشمين : «انه سنة ١٢١٣ سافر ماري ارميا لرومية ، ولما اقام القداس وقفت الشيله بين يديه بقوة الروح القدس. ولما رأى البابا هذا الامر المستغرب تعجب وصدق قوله وكرازته واعطاه التاج والخاتم .»

هذا وزيادة للفائدة ننشر ما ذكره ابن القلاعي عن البطريرك ارميا في زجليته المشهورة قال:

ملك جبيل صار في الاطراف يحارب مع هولاي الاشراف
ولكن من الحرم كان بيخاف ومن ترعزع الايمان
طلب البطرك ارميا وقال له نحن اليوم احيا
حروم البابا ليس هي اشيا نعادلها لكلمة انسان
قوم احتال في شعب هارون وانت بوحدك ارفي القانون
وانا راضي اكون مدبون واتفق ما تتاز الآن
ادخل لروميه في حركه وحل الحروم وهات لنا بركه
واكون انا ورأيك شركه في الملك والايمان
قال له طوع امر المخدوم برجع امشيت اعلم القوم
ورتب من يخدم في اليوم ويمضي بطوعك ما اخان
قال ما عاد لك رجعه لان المراكب تروح سرعه
الرعيه انا بسمى وشمالك حاضر الان
سافر البطرك في ذاك الليل لا لابس ولا راكب خيل
ولا ودع من تلك الجيل ولا وصّى له في انسان
شماس معه كان من هايل في حضنه كتاب الانجيل
وشحيم صغير لخف التحميل تراه الناس حافي عريان

دخل رومية بزي شحاد وخاطب البابا والاساد
وقد عرفوه تلك الفصاد وقالوا بطرك جبل لبنان
بكى البابا لما نظره وترع منه ثيابه وستره
وسأله من اين جاء خطره ومن اين تشلّح وهو عريان
شال أوراه كتاب الانجيل وقال هذا اوعاني خليل
واستحيت من شرفه تبجيل انظر قدمك في اطمئنان
واتبارك من اقدامك واخضع واسجد قدامك
طامع اموت واحيا امامك ولا جادل في نقل انسان
وشعبي قدامك خاضع ومن تحت اقدامك طايع
وكل ما تأمر له سامع لاجل الاعتقاد والايمان
مبهوت وجيت زاير قدمك واعيش من تحت حافر فرسك
تايب يدوع دعيت قدمك انعم عليّ في احسان
خليفة بطرس لا تقعد وتطرد من حولك ساجد
من تقدم لقدمك ليس تبعد وتبث تايب للتيران
ان كنت اخطيت انا تايب وقاصد ليس راجع خايب
واجب على قدمك واجب تمسح الدمع من الاعيان
بكى البابا ومن حوله لما افتهموا قوله
قالوا قديس نخضر له وفعله بنبينا الآن
عار بطرس صعد الشماس وبدا البطرك في القداس
وقنت الشيله فوق الراس والبابا ناظره في الاعيان
نقر في البطرك وقال له اقبل يخلصك من مجد الباطل
جاوبه على يدك تنزل انا خاطي من اثامي فزعان
نظروا اتضاعه باقواله طلبوا تضرع في حاله
وكلما طلب منه نالو وصار عنده سرور وفرحان

وفي الختام :

الف ومايتين وثلاثين عام البطريرك ارميا تنيّح ونام
وفي ميزوق قبره اعلم حافظ السنّة والايمان (١

---

١) نقلًا عن المجلة البطريركية لصاحبها ومحررها حضرة الاب السالم بولس قرألي (الجزء التاسع صفحة ٦١٠-٦١٢)

مجموعة صور قديمة منها صورة البطريرك ارميا المشيخي

S. Hieremia
Patriarcha Antiochena

البطريرك ارميا العمشيتي

ان صورة البطريرك ، التي صدّرنا بها هذه الترجمة ، نقلناها عن إطار يحتوي على رسوم كثيرة قديمة :

اولا رسم البطريرك ارميا المشيتي ، وتحته كتابة بحروف سريانية ولاتينية: ܩܕܝܫܐ ܐܪܡܝܐ ܐܒܐ ܕܐܢܛܝܟ

S. Hiermia Patriarcba Antiocbeno

ثانياً رسم دير في سفح جبل سينا ، حيث تسلّم موسى لوحي الوصايا ، ويوجد رفات القديسة كاترينا . وتحته هذه الكتابة :

Monistero a pie del monte Sinai dove Mose priglio le tavole della Legge, e dove giace il corpo di S. Catterina.

ثالثاً رسم الشهيدين بطرس ومرشليوس ، وتحته هذه الكتابة :

Clementi XI. Pont. Max. Fundatori. Monachi. Maronitæ Montis. Libani. ordinis, S. Antonii Magni Grati. Animi. Ergo.

رابعاً اسم دير الشهيدين المنوّه بهما ، وتعلوه هذه الكتابة :

Forma del Monistero de SS. Pietro e Marcellino Fondato in Roma da N. S. PP. Clemente XI per. li Monaci Maroniti Lanno 1707 genaio 16.

خامساً رسم القديس يوحنا مارون ، وتحته كتابة بحروف سريانية ولاتينية ܩܕܝܫܐ ܝܘܚܢܢ ܡܪܘܢ ܐܒܐ ܐܢܛܝܟ.

S. Jo. Marone Patriarca Antiocbeno

سادساً رسم اول دير أسسه القديس انطونيوس الكبير في برية الاسقيط في مصر دون باب يشرف على البحر الاحمر ، ويصعد اليه بحبل.

Forma del primo Monistero fondato da S. Antonio Abate senza porta, nel deserto della Tebaide donde si vede il mar Rosso.

وبمناسبة ذكر دير الشهيدين بطرس ومرشليوس الذي اسسه السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧٠٧، وسلمه لرهبانية القديس انطونيوس، اذكر هنا ما قاله لي احد اباء الرهبانية الافاضل الطيب الذكر المرحوم الاب طانيوس

المشمشاني ، وكان مدار حديثنا البطريرك ارميا العمشيتي وامر الاعجوبة المنوّه بها ، فاجابني رحمه الله انه كان عندهم في الدير المذكور صورة البطريرك يقدم الذبيحة الالهية وارتفاع القربان فوق رأسه بحضرة البابا زخيا الثالث ، في اطار كبير رسم ريشة اشهر المصورين .

واما امر الخلاف الذي وقع بين كتبة هذا العصر بسبب الكتابة التي عثر عليها العلامة المطران اسطفان عواد في كتاب الاناجيل القديم ، الموجود الان في المكتبة الماديشية في فيرنسة ، فقد فصل بفضل واجتهاد حضرة القس طوبيا العنيسي الذي اكتشف صاحب هذه الكتابة ، وهذه صورتها مترجمة عن السريانية بحروفها :

« في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط اتيت انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق في وادي ايليج الى سيدنا بطرس بطريرك الموارنة ورسمني بيديه المقدستين مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على ضفة النهر وبقيت هناك اربع سنين وكان سكان الدير المذكور: الراهب حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه ايليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين. وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعة فاصابتني وصيروني بطريركاً في دير حالات المقدس ثم ارسلوني الى رومة المدينة العظمى وتركت اخانا المطران توادورس يدير الرعية ويهتم بشؤونها ٢٢ (الجامع المفصل للمطران يوسف الدبس ص ١٩٧)

واذ لم يذكر الدويهي في سلسلة البطاركة غير اسم البطريرك ارميا العمشيتي، نسب كتبة الاعصر المتأخرة الكتابة المذكورة اليه . مع انها كتابة ارميا الدملصاوي عينه الذي انتخب بطريركاً في دير حالات سنة ١٢٨٢ ، بعد انتخاب البطريرك العمشيتي بثلاث وثمانين سنة . وقد فاتت الكتبة المذكورين معرفة بطريرك آخر بهذا الاسم فاخذوا في شعاب الرجم وضربوا في اودية الحدس والتخمين ، كما قال مكتشف هذا الاثر التاريخي الذي زال بعده كل اشكال وغموض . وقد اتى المذكور بما اثبت هذه الحقيقة بمستندات تاريخية لا موضع

فيها للشبهة ، نقلًا عن سجلات مملكة اورشليم للمؤرخ دوريخت .

« في قلعة انفه (Nefin) ، سنة ١٢٨٢ ، القريبة من طرابلس اجتمع امير انطاكية وحاكم (Comes) طرابلس والشهود الموقعون في ذيله وصرّحوا قائلين ان غويدن صاحب جبيل المهيّج من معلم الهيكل غويلم دي بوجويك حاول ثلاث مرات الاستيلاء على مدينة طرابلس . وبين الشهود الذين وقعوا على الصك يوجد اسم بطريرك الموارنة هكذا : الاخ ارميا بطريرك الموارنة والاخ ابراهيم رئيس اساقفة رشمين »[1]

وقد ورد في تاريخ جزيرة قبرس للمؤرخ دي فاس لاتري : في ١٨ شباط سنة ١٢٨٢ في حصن انفه (Nefin) بالقرب من طرابلس ، كُتب صكّ امام المسجل بحضرة امير انطاكية وبحضر شهود كثيرين على المحاولة الثلاثية التي حاولها غويدن صاحب جبيل بتهييج معلم الهيكل لانتزاع طرابلس من يد امير انطاكية ... وهنا عدّ اسماء الشهود الكثيرين حتى بلغ اسم البطريرك ارميا فقال : الاخ ارميا بطريرك الموارنة ، ورفيقه الاخ ابراهيم رئيس اساقفة عرقه . والاخ يوحنا رئيس اساقفة رشمين ...

توفي البطريرك ارميا الدملصاوي سنة ١٢٩٧ . وهو الذي ارسله امير جبيل والشعب الى رومة كما تقدم القول .

ويستفاد من الكتابة السريانية بخط بطريركنا المشيتي على كتاب الاناجيل المختصّ به — وهو الكتاب الثاني من الكتب السريانية التي ذكرها اسطفان عواد في كتابه «فهرست المكتبة الماديشية» عدد ٢ — بان الراهبتين ساره والراهبة الاخرى كانتا ابنتي داود انقطعتا لعبادة الله محبّستين في احدى قلالي الدير ، ثم استحبستا في دير مار سركيس حردين . وقد كان عند الموارنة امثال هاتين الحبيستين مثل كودا ومارانا راهبتي القديس مارون[2]

---

١) يوقع البطريرك امضاءه بلفظة اخ لمخاطبته الفرنج الذين هم اخوته بالايمان .

٢) قال العلامة اسطفان عواد ، بعد ايراد هذا الخط ، انه كان بالقرب من حردين ديران قديمان جدًا حذاء كنيسة القديس سركيس . احدهما كان كرسيًا بطريركيًا مدة من الزمن ومقامًا لرهبان كثيرين من الموارنة . والثاني ديرًا للراهبات ، وبقي الديران الى سنة

* اما صور الكتابة فهي اولًا : «انا عبد المسيح ارميا البطريرك وقفت هذا الكتاب وما تركه داود ويوسف لديري وقفاً مؤبدًا . وكل من اخذه كان ملعونًا من الله ومن كهنته»

ثانياً في الصفحة ٢٦ من الكتاب المذكور ما تعريبه عن السريانية :«قد استراحت وانتقلت من هذه الحياة عالم الشرور الى العالم الآخر المفعم بالسرور الراهبة ابنة داود يوم الجمعة في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ١٥١١ يونانية (١٢٠٠ م) »

ثالثاً في صفحة اخرى ما تعريبه : « قد استراحت الراهبة سارة بعد عشرة اشهر من تحصُّنها يوم الاحد في الثامن من آب . فلتكن اهلًا للذكر الصالح لانها تعبت كثيرًا في دير القديس سركيس مع باقي الراهبات اولاهنَّ الله السلام والراحة مع العذارى الحكيمات »

وقصارى ما نقول ان البطريرك ارميا العمشيتي كان رجلًا قديساً غيورًا على الايمان الكاثوليكي ، فكان يستميل اليه قلوب سامعيه لا بتعاليمه وارشاداته فقط ، بل بمثله الذي كان يحدث في القلوب اشدّ تأثير . ولئن فاتتنا امورٌ كثيرة من اعمال هذا الرجل البار ومعرفة دقايق حياته ، فليس عجباً ، وقد اتلفت تصاريف الزمان ما كان من الآثار مع اضطراب الاحوال السياسية وتقلب الحكام والولاة في تلك القرون .

١٤٥٠ . وبعد ترك الرهبان والراهبات الديرين لتوالي صروف الدهر (المطران يوسف الدبس : الجامع المفصّل عدد ٣٣ ، ص ٢٠٥)